«التقييدات» قيمة حضارية تضاف إلى نص المخطوط ومصدر آخـــــــــــــــر للتاريخ

التقييدات في المخطوطات العمانية .. الأهميـــــــــة والدلالات

تقييدات الأفلاج مما تفردت به المخطوطات العمانية

«حرد المتن» أهم موضع لتقييد بيانات المخطوط

محمد بن عامر العيسري
alaisari@gmail.com

التراث العلمي العماني لا يزال بكراً في سياق التحقيق والدراسةليست المخطوطات وعاءً لنصوص مصنف أو كتاب أو رسائل علمية أو آثار عالم أو فقيه فحسب، كما يتصور البعض، بل تحتضن المخطوطات الكثير والكثير مما لا علاقة له بنص المؤلف أو (المتن)، ويمكن أن نشبه المخطوط بناء شامخ وقصر منيف يضم إلى جانب غرفه ومرافقه الأساسية، مرافق أخرى من الخارج وحدائق غناء تحيط به ولوحات ترحيبية للزائرين وغير ذلك.

فالمخطوط التام والمكتمل يبدأ بصفحة العنوان ثم ترتيب الأبواب ثم المتن (نصوص الكتاب) وينتهي بحرد المتن، وما سوى ذلك فيكون عادة زيادات من الناسخ أو من غيره ممن يؤول إليه المخطوط بالشراء أو بالهبة أو الإرث أو العارية أو غير ذلك. والطرح الآتي حول التقييدات في المخطوطات العمانية.

جاء في لسان العرب في لسان العرب: ضَبطه؛ وكذلك قيَّدَ الكتاب بالشَّكل: شَكَله، وكلاهما على المثل. وتقييدُ الخط: تنقيطه وإعجامه وشَكْلُه". من هنا جاء مصطلح التقييد بالكتابة سواء في المخطوطات أو في غيرها.

■ نموذج لتقييدات حرد المتن

■ تقييد وفاة في حاشية حرد المتن

ويرد حرد المتن أحياناً نظماً ينظمه الناسخ ويذكر اسم الكتاب واسمه وزمان النسخ ومكانه والمنسوخ له وغير ذلك. ومن الأمثلة على تقييدات حرد المتن (كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ج ٢٠) بمكتبة الشيخ سالم بن حمد الحارثي بالمضيرب:

(انتقل هذا الكتاب بالبيع والشراء من سوق إبرا من إرث الهالك عامر بن حجي بن سعيد الطوقي، وأنا الأقل لله ناصر بن سعيد بن ناصر الطوقي الإبروي، في عصر سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي).

وإلى جانب الإشارة الأخرى التي حملها النص ففيه دلالة تعضدها دلالات تقييدات أخرى على بيع وتداول الكتب المخطوطة في الماضي ووجود الوراقين في سوق إبراء كما هو الشأن في أسواق نزوى وبهلا والرستاق وغيرها من الحواضر العمانية.

ومن الأمثلة على تقييد التملك عقب ترتيب الأبواب: (للسيد الأجل بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب بن سلطان اليعربي نصره الله). ثم يليه تقييد شراء نصه: (آل هذا الكتاب للفقير لله تعالى سالم بن خميس بن عمر العبري بالشراء الصحيح من سوق نزوى) والشيخ سالم بن خميس العبري هو أحد العلماء في عصر اليعاربة، وله كتاب فواكه البستان.

■ تقييد تملك بزخرفة بديعة

■ تقييد وقف في صفحة العنوان

ومن الأمثلة على تقييدات حرد المتن ما ورد في كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين للشيخ خميس بن سعيد الشقصي، (مخطوط برقم ١٠٧١) بدار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة: (وكان الفراغ من نسخ كتاب الحدود من كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين عصر الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة الحرام الذي هو من إحدى شهور سنة ست سنين وخمسين سنة ومائة سنة وألف سنين من هجرة سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين محمد النبي الأمي الأمين، اللهم أدخلنا في شفاعته برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين. وكان ذلك على يدي العبد الأقل لله عز وجل المعترف على نفسه بالذنب والتصير سليمان بن علي بن مسعود بن عزيز بن حمزة بن علي المزاحمي، نسخه للشيخ الأجل والعالم الأفضل الوالي الولي نجاد بن سالم بن نجاد بن سالم بن غسان الغساني الغافري نسباً والإباضي مذهباً، رزقه الله حفظه والعمل بما فيه، وذلك في زمن ولايته بحصن ضنك أدامه الله وأبقاه بالأمن والإيمان والمغفرة والرضوان).

وفي حاشية حرد المتن تقييد عرض المخطوط على نسخته، ونصه: (عرض على نسخته التي نسخ منها، والله أعلم بصحته من سقمه، وكان تمام تصحيحه بحصن ضنك في زمن ولاية الشيخ الأجل والعالم الأفضل والي الإمام وقدوة الإسلام، وهو مالك هذا الكتاب من فضل الله عليه نجاد بن سالم بن نجاد بن سالم الغافري أدامه الله لما ورده إلى القضاء آمناً ورزقه حفظ هذا الكتاب والعمل بما فيه، وكتبه الخادم الأقل لخالقه الأجل سليمان بن علي بن مسعود بيده، ليلة الأربعاء والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١١٥٦).

ففي نصوص التقييدات السابقة مادة تاريخية قيدت اسم الوالي في ذلك العهد ومكان ولايته (حصن ضنك) وبعض صفاته التي تحلى بها.. الخ .

ونجد هنا تداخلاً بين التقييدات المتصلة بالمخطوط نسخاً وتملكاً وزمان نسخ وعرض النسخة، وغير ذلك، وبين تلك التي أضيفت إليها من وصف المنسوخ له ومكان ولايته وغير ذلك.

في التراث الإسلامي عبر مراحله التاريخية المتعاقبة اعتاد النساخ وملاك المخطوطات بل وأغلب من تقع في أيديهم ملكاً أو عارية (بتشديد الياء - ويراد به الشيء المستعار) اعتادوا أن يقيدوا بالكتابة تدوينات عدة غدت فيما بعد ذات أهمية كبيرة بعد أن تشكلت منها مادة علمية أدبية وتاريخية غزيرة أصبحت مصدراً هاماً من المصادر التاريخية. ويمكن أن نصنف تقييدات المخطوطات إلى قسمين رئيسين هما: التقييدات المتعلقة بالمخطوط والتقييدات غير المتعلقة بالمخطوط.

أما التقييدات المتعلقة بالمخطوط فتقرد في صفحة العنوان، والصفحات التي تليها، وفي صفحات ترتيب الأبواب (الفهرس) وفي حرد المتن وفي أطراف وحواشي المخطوط وفي جلده، وفي لسان الجلد أحياناً.

وباعتبار حرد المتن أحد أهم مواضع التقييدات فإن أهم ما يرد فيه: اسم الناسخ - زمان النسخ - مكان النسخ - المنسوخ له - صفة المنسوخ له - اسم الحاكم في ذلك العهد..... الخ.

على هامش حرد المتن يرد أحياناً: تقييد العرض والمقابلة على نسخة المخطوط والنسخ الأخرى، وتاريخه، والقائمين عليه.

وأما التقييدات التي ترد في الحواشي والأطراف وفي الجلد ولسانه وتندرج تحت الصنف الأول فمنها: التملك - البيع - الشراء - الهبة - الإرث - العارية - الوقف.

وإذا جئنا إلى الصنف الثاني من التقييدات وهي تلك التي لا صلة لها بموضوع المخطوط فتكاد تعجز أنه لا حصر لأمثلتها وأصنافها، فهناك تقييدات الأحداث من ميلاد ووفاة وخصب وجدب وجوائح وظواهر فلكية وأسعار ومعاملات وغيرها كثير، وتتفرد المخطوطات العمانية بتقييدات حصص مياه الأفلاج، لكون نظام الأفلاج مما تفردت به الحضارة العمانية.

وفيما يلي نتعرض لنماذج من التقييدات في المخطوطات العمانية وفق التصنيف الآنف الذكر وما تحمله من دلالات. فمن التقييدات المتعلقة بالمخطوط كما أسلفنا تلك التقييدات الواردة في صفحة العنوان ما جاء في صفحة العنوان في مخطوط كتاب جامع البيان للشيخ يلعرب بن أحمد الإسماعيلي، المحفوظ بمكتبة السالمي بهدية، ونص التقييد: (السفر الثاني من جامع البيان في الأحكام من جوابات الأشياخ البررة الكرام، تأليف الشيخ الرضي الغني بالله عن إطالة المدح يلعرب بن أحمد بن مانع بن علي الإسماعيلي عامل الإمام يلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك بن يلعرب بن سلطان أعزه الله، على قرية صور، غفر الله لهما ولجميع المسلمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم).

ففي التقييد إشارة إلى المؤلف ووظيفته (عامل الإمام) التي شغلها ومكان الولاية (صور) والحاكم (الإمام يلعرب بن سلطان) الذي عاش في عهده.

ومن الأمثلة على تقييدات صفحة العنوان التي تتضمن أيضاً تقييد التملك

■ تقييد لظاهرة فلكية وغلاء الأسعار

وفي نفس الصفحة تقييد التملك للواقف نفسه.

كما درج العمانيون على توثيق ما يجري من الأحداث على اختلافها من خلال التقييدات كما أسلفنا، ومثال تقييد الجوائح ما ورد في المخطوط رقم ٢٠٧ بدار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة (الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب) ونص التقييد: "هبط وادي الأبيض ليلة عاشر من شهر المولد سنة ١٣٠٦ وأرسل الله على وادي إزكي وما حوله سيل حصا فانهدمت منه بعض البيوت وضاعت غلة النخل والأشجار والزروع حتى إنه مما بلغنا أنهم وجدوا صخرة سيل طولها ١٦ خطوة وأقله ٦ من..... الله المستعان ، وكذلك وقع في تنوف وما حولها سيل حصا..... هبط وادي الأبيض فوجدوا فيه حصا السيل شيء..... كتبه ناصر بن حمد بن محمد..... بيده".

وقد يجمع نص التقييد أحداثاً متعددة كالوفاة والقحط والغلاء وغيرها ، ومن ذلك مثلا ما جاء في مخطوط رقم (١٢١٢) بدار المخطوطات، والذي: (توفي الأخ الثقة العدل المرضي سعيد بن عمران ليلة الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة مائتي سنة وألف سنة من الهجرة النبوية، والوالي يومئذ عبدالله بن محمد بن عبدالله البوسعيدي، والإمام سعيد بن أحمد، ويسمد الشأن محل عظيم من سمد، النغال ١٤ غازي و٣١ شاخات و١٢ غازي ينقص قليلاً، وبلغ جري الأرز في سنة ٩٩ سنة بعد المائة والألف من مسكد بثلاثين محمدية، والأرز الجري الكبير بثلاثين محمدية، وعندنا فلج الضبي يابس، و... والصوريريج يسقين قليلاً، ليعلم الواقف. كتبه سيف بن علي بن مسعود الجهضمي بيده سنة مائتي سنة وألف سنة من الهجرة النبوية).

ومن الأمثلة على تقييد الظواهر الفلكية ما هو مقيد في المخطوط رقم ٧٦١ في دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة، وهو الجزء السادس عشر من كتاب المصنف للشيخ أبي بكر أحمد بن عبدالله الكندي أحد علماء القرن الخامس الهجري، ونص التقييد: (ولما كان في ليلة ثماني عشرة ليلة من شهر ذي القعدة من شهور سنة سبع وعشرين سنة وألف سنة إذ طلع شعاع أبيض مستطيل من المشرق إلى أفق السماء وهو كالنخلة السحوق، وفي المقدار أنه نحو مائة باع أو أكثر والله أعلم بذلك، وأول طلوعه قبل طلوع الفجر، ثم في كل يوم يتقدم قليلا حتى انتهى يطلع قبل طلوع الفجر، وبعد ذلك كل يوم يتجلى قليلا إلى يوم ثاني عشر من شهر الحج من السنة المذكورة طلع نجم بني أحمة له شعاع أحمر مستطيلا من المشرق، وطلوعه من أعلى من الأول، وفي كل يوم يرتفع ونوره يطول حتى انتهى إلى أفق السماء، وبعده أصاب الناس محل كثير وغلاء المعايش حتى انتهى ثمانية طعام الدواب أربعة أمنان قت بصدية، وقصب الذرة الرطب ثمانية أمنان بصدية، حتى عاد الناس في تعب من ذلك، والله ولي الأمر وله الطول ذو القوة ، وهو على كل شيء قدير.

وطعام البشر غالي الثمن مائة من بعشر لاريات، وحب الدخن بثلاث لاريات، والبن الجري بأربع لاريات وثلاث صديات، وكياس حبن بربع صدية ، وذلك سنة ١٠٢٩).

وفي تقييد آخر بنفس الصفحة :(وفي سنة ١٠٤٦ بلغ التمر مائة منّ بأربعة وعشرين لارية ، والله أعلم).

ففي نصوص هذه التقييدات الأخيرة الكثير والكثير من الأحداث والوقائع ، وأسماء البلدان والمواضع والأفلاج والعملات المتداولة، وكل ذلك مقرون بتأريخ حدوثه ، ولعل هذا الصنف من التقييدات هو الأكثر أهمية من حيث كونه مصدراً للتاريخ الاجتماعي الذي أهمله المؤرخون.

بعد هذا العرض الذي أجزم أنه ليس سوى قطرة في بحر، لعله لم يعد خافياً ما يضيفه هذا المصدر من مصادر التاريخ من قيمة علمية وحضارية لتاريخ بلادنا المجيد، فالجدير بهذا الصنف من مصادر المعرفة أن يكون ميداناً للبحث والدراسة. والتراث العلمي العماني لا زال بكراً في سياق التحقيق والدراسة وبأبا يتسع لكل من يريد الدخول فيه أيا كان.

لغويات

أثارة من لَهَجاتٍ عَرَبيةٍ

(٢-٤)

سالم البلوشي*

لقد بات من المُسلَّم به اليوم لأبناء العربية في ظل الهجوم الهائل للغات الوافدة على المجتمعات العربية ، والتراجع المزري من أبناء هذه الأمة العظيمة في استخدام كثير من مفردات لغة الضاد ، بات مسلمًا به على الغيُر منهم استخدام ألفاظ قد تكون غريبة ، أو قد تكون غير مألوفة الاستخدام ، وهذا يحقق هدفًا ساميًا هو الاغتراف من بحر هذه اللغة الكريمة.

ومما قد يُشْكل على بعض القرّاء استخدام كلمة (أثارة) عنوان هذا المقال ، لكن الغموض ينجلي والغرابة تتكشف حين نعلم بأن الكلمة قد وردت في الآية الرابعة من سورة الأحقاف . قال تعالى : (ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين).

فقد جاء في تفسير البحر المحيط ٨/ ٥٦ (أو أثارة من علم) أي بقية من علم الأولين . وجاء في لسان العرب ، ٧٤ : ويقال سمنت الإبل على أثارة ، أي بقية شحم كان قبل ذلك . قال الشاعر :

وذات أثارة أكلت عليها نباتًا في أكمّته ففارا .

وتستعمل الأثارة في بقية الشرف ، يقال لبني فلان أثارة من شرف ، إذا كانت عندهم شواهد قديمة .

وفي لغة العامة والخاصة من أهل عمان الآن شواهد (أثارات) قديمة على لهجات لقبائل عربية ، ربما ارتحلت عن هذه الأرض في غابر الزمان ، أو بقي خلفها ينطق ببعض كلامها .

إن من عادة العرب تحقيق الهمزة في الفعل الثلاثي على وزن (فعل) المهموز الآخر ، مثل : قرأ ، وبدأ ، وملأ . فيقولون : قرأت الكتاب ، وبدأت الحديث ، وملأت الإناء .

لكن من العرب من يسهّل الهمزة فيقول : قريت ، وبديت ، ومليت ، قد نسب ابن خالويه هذه اللغة للأنصار . فقال : ليس أحد يقول بديت بمعنى بدأت إلاّ الأنصار . قال عبدالله بن رواحة :

باسم الإله ويه بَدَيْنا ولو عبدنا غيره شقينا .

وقيل إن الحسن قال لبعض جلسائه : قد توضّيت . فقالوا له : أتلحن ياأبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل . ولعل من ذلك (جيت) في جئت في لغة بني عامر . قال مجنون ليلى :

ولو أحْدقوا بي الإنس والجنُّ كلُّهم لكي يمنعوني أن أجيك لجيت .

ومن معتاد أهل عمان أن يتكلّموا بما تكلمت به هذيل والأنصار وبني عامر : فيقولون : بديت باسم الله ، وقريت الكتاب ، وتوضيت للصلاة .

إن السائد في اللغة الأدبية العالية أن يقال في مؤنث غضبان ، وعطشان ، وحيران وما أشبهه : غضبى ، وعطشى ، وحيرى ، إلاّ أن بني أسد كما يذكر ابن منظور في اللسان ١٤١/٢ ، و ٣٨/٦ ، يلحقون هاء التأنيث للمفرد المذكر لوصف المؤنث ، فيقولون : غضبانة ، وعطشانة ، وحيرانة .

وديدن النساء في عمان النطق بما نطقت به قبيلة بني أسد . فتقول إحداهن : أنا عطشانة ، وحيرانة ، وزوجة فلان غضبانة .

ومن حديث العامة في عمان إشباع الكسرة في بعض الكلمات ، فيتولد عنها ياء . مثل : ضَرِبْتِيه ، في ضَرَبْتِه ، وكلَمْتِيه في كلمْتِه . وقد نصّ على ذلك سيبويه(٢٠٠/٤) فقال : وحدثني الخليل أن ناساً يقولون : ضَرِبتِيه . فيلحقون التاء ، وهذه قليلة .

وقد نسب الأخفش هذه اللغة لربيعة . قال أبوحيان في ارتشاف الضَّرب (٤٦٣/١) : "وحكي ضَرِبْتِيه بياء ساكنة بعد كسرة المؤنث . قال الأخفش في كتابه الأوسط : هي لُغَيّة لربيعة تقول ضَرِبْتِيه "

قال اللحياني (كما ورد في لسان العرب ١٨٥/٥) جبره على كذا بمعنى أكرهه عليه لغة تميم وحدها . وعامة العرب يقولون : أجبره . وتسمع هاتان اللغتان عند العمانيين على السواء فنجدهم يقولون : والله جبرته على فعل كذا ، وكذلك يقولون : أجبرته على فعل كذا .

نقل سيبويه في الكتاب (٨٣٥/٣) عن الخليل أن ناسا من بكر بن وائل يقولون : ردّن ، ومرّن في ردّن ومرّن ، وهذه اللغة مسموعة عند أهل عمان ، فنجدهم يقولون : المعلمات مرّن ، والطالبات ردّن الجواب .

ذكر الأزهري في تهذيب اللغة (٢٨٨/٥) بأن للعرب في (استحى) لغتان : يقال : استحى الرجل يستحي بياء واحدة . واستحيا فلان يستحيي بيائين . والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية . قال تعالى : (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) . وقال الأخفش : استحى بياء واحدة لغة تميم ، وبياءين لغة أهل الحجاز وهو الأصل : لأن ماكان موضع لامه معتلا لم يعلوا عينه . ومن معتاد أهل عمان النطق بما ينطق به التميميون.

salemabdullah@gmail.com
*دكتوراه في فلسفة اللغة والنحو من جامعة اليرموك ، الأردن.